المحاضرة الثانية : المنهج التاريخي سانت بوف 1804-1869

يتفق الدارسون على أن المنهج التاريخي ، هو أول المناهج النقدية التي ظهرت في العصر الحديث.اعتمد بقوة في مجال البحث الادبي من قبل الدارسين في مطلع القرن العشرين ،وهو من المناهج الخارجية التي تعنى بدراسة الادب يحاول هذا المنهج تفسير الأثر أو النص الادبي بربطه بشحصياته وزمانه ومكانه .

"ان المنهج التاريخي يقوم عتى دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي اليه الادب ويتخذ منها وسيلة أو طريقا لفهم الادب ، وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه ، وغوامضه ". -1-

فالمنهج التاريخي لا يبعد الظروف السياسية والاجتماعية التي ولد في ظلها الأثر الأدبي ، ولفهم الادب وتفسيره من الضرورة الاعتماد على هذه الظروف ، لانه يتأثر بها .

والادب من المنظور التاريخي ، وليد اللحظة التاريخية التي يكون ويصدر فيها ،والحق أن هذه اللحظة تكونها عوامل كثيرة منها الاديب ، والزمن ،والاوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية

يقول عبد السلام المسدي : " يقوم المنهج التاريخي ، على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية ، فالنص ثمرة صاحبه ، والأديب صورة لثقافته ، والثقافة افراز للبيئة ، والبيئة جزء من التاريخ ، فاذن النقد تأريخ للأدب من خلال بيئته " .-2 -

وفضلا عن اهتمام المنهج التاريخي بالنتاج الادبي ، وبصاحبه ، ومكانه فانه ايضا يهتم بتوثيق النصوص ، والتأكد من صحة نسبتها الى أصحابها .

يعد الناقد الفرنسي المشهور ( سانت بوف 1804-1869) من الرواد الاوائل الذين كان لهم الفضل في تأسيس النقد الفرنسي لقد اعتمد على المنهج التاريخي مع الاستعانة في ذلك بالاتجاه العلمي التجريبي في دراسته للادب .ان مؤلفات هذا الناقد مثل " أحاديث الاثنين " و "أحاديث الاثنين الجديدة " عكست منهجه في النقد الذي قام على مبدا " معرفة الشجرة ، قبل الثمرة " ، بمعنى وجوب الاحاطة الشاملة بحياة الكاتب وسيرته ، لان من شأن هذه الاحاطة والالمام الجيد أن يلقي مزيدا من الضوء على النص الادبي .

الاهتمام بسيرة الكاتب :

عني ( سانت بوف ) بالاديب عناية شديدة لكونه علة وسبب وجود النص ، ولذلك درسه دراسة عميقة ودقيقة . يقول شوقي ضيف لقد دعا ( سانت بوف ) الى دراسة " الادباء دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم ، وأممهم ، وعصورهم وآبائهم وأمهاتهم ، وأسرهم وتربياتهم ، وأمزجتهم ، وثقافاتهم ، ووتكويناتهم المادية والجسمية ، وخواصهم النفسية والعقلية ، وعلاقاتهم بأصدقائهم ، والتعرف على كل ما يتصل بهم من عادات وأفكار ومبادئ مع محاولة تبين فترات نجاحهم واخفاقهم وكل جوانب ضعفهم ، وكل ما اضطربوا فيه طوال حياتهم ". -3-

ان مثل هذا التقصي الشديد في الدراسة كان هدفه رسم صورة دقيقة للكاتب تمكن من النفاذ الى ادبه وفهمه بالاعتماد على سيرة المؤلف من أبرز الأسس التي قام عليها منهجه . وفي هذا الشان يقول محمد مندور : " هذا هو منهج ( سانت بوف) في النقد ،وهو يتلخص في العناية بالكاتب ودرسه قبل نقد مؤلفاته ، واعتبا رالمؤلف أساسا لفهم ما يكتب ".- 4-

1-عبدالمجيد زراقط ، النقد الادبي ص116.

2-عبد السلام المسدي ، في آليات النقد الادبي ص79.

3- شوقي ضيف ، البحث الادبي ص95.

4- محمد مندور ، في الادب والنقد ص82.

لقد كان شديد الايمان بعلاقة شخصية المبدع بأثره، لذلك ركز على الاهتمام بشخصية المبدع باعتباره مفتاحا لفهم أدبه ،غير أن المبالغة والافراط في العناية بشخصية الكاتب قد تشغل صاحبها على الالتفات الى الأثر الادبي ، وهو أمر غير مستحب عند الدارسين ،وحذروا منه يقول محمد مندور : " والذي يؤخذ على هذا المذهب –مذهب سانت بوف- هو احتمال نسيانه الكتاب في سبيل الكاتب ، والنقد بمعناه الضيق لابد من أن ينصب عتى الكتاب حتى لا تختلط حدود العلوم وميادين البحث المختلفة كما أن الامعان في تحليل شخصيات المؤلفين وتقصيها كما كان يفعل (سانت بوف) الذي لم يترك حياة خاصة الا هتكها ولا أحداثا مما يمس حياة الكاتب الا قصها كما فعل في كتابه عن " فيكتور هيغو" وتمزيقه لحياته الشخصية مما عرض ( سانت بوف) الى لوم معاصريه ".

تأثر سانت بوف بقوانين العلوم الطبيعية وحاول تطبيقها على الأدباء فصنفهم الى طوائف وأنماط على النحو الذي سلكه العلماء في تصنيف الحيوانات والنباتات ، وتحديد فصائلها .

ان التأثر بقوانين العلوم الطبيعية يعني الدعوة الى نقد جديد ذي صبغة علمية تجريبية ، والثورة على النقد البلاغي القديم الذي رفضه ثم ان مناهج العلوم الطبيعية كانت تنطلق من مبدا السببية فكان على النقد في نظره أن يهتم بمسبب النتاج الادبي ، أي بمبدعه كما دعا الى دراسة الأدب في ظل معطيات الزمن والبيئة اللذين يؤثران على شخصية الاديب .

لقد سعى ( سانت بوف) الى تأسيس نقد انطلق فيه من المنهج التاريخي ، وعمل على اقامة هذا المنهج انطلاقا من سيرة المبدع ( الدراسة البيوغرافية ) لكنه لم يسلم من النقد وبخاصة فيما يتعلق بالتركيز على شخصية الكاتب ، حيث رأى البعض أنه بلغ حدا كبيرا من الشطط ، وكذا الاستعانة بقوانين العلوم الطبيعية وتطبيقها على الظاهرة الادبية التي لا تغني الادب ولا تفيده في شيء لاختلاف طبيعة الادب عن طبيعة العلم .

1-محمد مندور ، في الادب والنقد ص83 .